[٢٦] الزواج العرفي

المفهوم: إن الزواج العرفي هو اصطلاح حديث يطلق على عقد الزواج غير الموثق بوثيقة رسمية سواء أكان مكتوباً أو غير مكتوب (الأشقر، ٢٠٠٠: ١٢٩). وأن تسمية هذا الزواج بالزواج العرفي، يدل على أن هذا العقد اكتسب مسماه من كونه عرفاً اعتاد عليه أفراد المجتمع المسلم منذ عهد الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وما بعد ذلك من مراحل متعاقبة، فلم يكن المسلمون في يوم من الأيام يهتمون بتوثيق الزواج، ولم يكن ذلك يعني بالنسبة لهم أي حرج، بل اطمأنت نفوسهم إليه. فصار عرفاً بالشرع، وأقرهم عليه، ولم يرده في أي من وقت من الأوقات (عزمي، د.ت: ١١).

ويضيف شلتوت (١٩٥٩: ٢٤٦-٢٤٧) إلى أن الزواج العرفي هو ذلك الزواج الذي لا يكتب في وثيقة رسمية، وقد تصحبه توصية الشهود بالكتمان، وبذلك يكون من زواج السر، وربما لا تصحبه توصية لكتمان فيأخذ اسمه الخاص وهو الزواج العرفي، وقد يعلم به غير الشهود من الأهل والأقارب والجيران. وهو عقد استكمل الأركان والشروط المعتبرة شرعاً في صحة العقد، وبه تثبت جميع حقوق من حل الاتصال، ومن وجوب النفقة على الرجل ووجوب الطاعة على المرأة، ونسب الأولاد من الرجل، وهو العقد الشرعي الذي كان معهوداً عند المسلمين إلى عهد قريب. وقد كان الضمير الإيماني كافياً عند الطرفين في الاعتراف به وفي القيام بحقوقه الشرعية على الوجه الذي يقضي به الشرع، ويتطلبه الإيمان.

وظل الأمر كذلك بين المسلمين من مبدأ التشريع إلى أن رأى أولياء الأمر أن ميزان الإيمان في كثير من القلوب قد خف؛ فوجد من يدعي الزوجية زوراً، ويعتمد في إثباتها على شهادة شهود، هم من جنس المدعي لا يتقون الله ولا يراعون الحق؛ فما تشعر المرأة وهي زوجة لمزور أراد إلباسها قهراً ثوب الزوجية وإخراجها من خدرها إلى بيته تحقيقاً لشهوته، أو كيداً لها ولأسرتها؛ كما وجد من أنكره تخلصاً من حقوق الزوجية أو التماساً للحرية في التزوج بمن يشاء، ويعجز الطرف الآخر عن إثباته أمام القضاء؛ وبذلك لا تصل الزوجة إلى حقها في النفقة، ولا يصل الزوج إلى حقه في الطاعة، وقد يضيع نسب الأولاد، ويلتصق بهم وبأمهم العار الأبدي فوق حرمانهم حقوقهم.

وقد رأى المشرع المصري – حفظاً للأسرة، وصوناً للحياة الزوجية، والأعراض من هذا التلاعب – أن دعاوي الزوجية لا تسمع إلا إذا كانت الزوجية ثابتة بورقة رسمية؛ وبذلك التشريع صار الذين يقدمون على الزواج العرفي ويلحقهم شيئاً من آثاره السيئة هم وحدهم الذين يتحملون تبعات ما يتعرضون له من هذه الآثار، كما يتحملون إثم ضياع الأنساب للأولاد وحرمانهم الميراث عند الإنكار.

إضافة إلى هذا، يرى بعض الفقهاء (الشرقاوي، ٢٠٠٠) أن الزواج العرفي لا تتوافر فيه أركان وشروط الزواج الشرعي الصحيح من حيث وجود الولي، والشهود العدول، والإعلان والإشهار، ومقاصد الزواج الشرعية من الزواج العرفي، وعنصر التوثيق الذي يضمن حقوق الزوجة.

الولي: يرى جمهور الفقهاء أن الولي للزوجة ركن من أركان عقد الزواج، والولي هو والد الزوجة أو أحد عصبتها كالأخ أو العم أو الخال، واستدلوا على ذلك بأحاديث الرسول ﷺ فقد قال ﷺ: "لا نكاح

إلا بولي" [رواه الترمذي وأبو داود]، "لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج للمرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها" [رواه ابن ماجه]. ومن ثم، فإن افتقاد الزواج العرفي لركن من الولاية وعدم مباشرته للولي لعقد الزواج لمن تحت ولايته يحمل أولى دلائل بطلان الزواج العرفي وعدم صحته من الناحية الشرعية.

الشهود العدول: لا يكاد الزواج العرفي يقوم على شهادة مستوفية لشرائعها الشرعية وفقاً لحديث الرسول ﷺ: "لا نكاح إلا بولي" [رواه الترمذي وأبو داود]. فلابد في النكاح من وجود الولي والزوج والشاهدان. وشهود الزواج العرفي لا تتوافر فيهما شروط الشاهد الصحيح الذي يقوم بالفرائض والواجبات والسنن ويتجنب المحرمات من كبائر وصغائر.

الإعلان والإشهار: ندب الشّارع إلى إعلان عقد الزواج بما يحقق له الذيوع والشهرة حتى يعلم عامة الناس أن المرأة المعقود عليها صارت زوجة لمن عقد عليها فلا تلوكها ألسنة الناس بالسوء، والإعلان والإشهار ركناً من أركان عقد الزواج في حين اعتبره بقية الأئمة والفقهاء شرطاً من شروط عقد الزواج واستدلوا على ذلك بحديث الرسول ﷺ: "أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد وأضربوا عليه بالدف" [رواه الترمذي]. وافتقاد الزواج العرفي لشرط الإعلان والإشهار يجعله اقرب إلى نكاح السر.

غياب عنصر التوثيق: يترتب على افتقاد الزواج العرفي لعنصر التوثيق ضياع كافة حقوق الزوجة الشرعية والقانونية من هذا الزواج، فلا حق للزوجة في المهر ولا في النفقة ولا في الإرث، وقد أكد المشرع المصري على أهمية توثيق عقد الزواج حفاظاً وحماية لحقوق الزوجة الشرعية حيث نصت المادة ٩٩ الفقرة الرابعة من اللائحة الشرعية الصادرة عام ١٩٣١ على أنه لا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية.

المقاصد الشرعية من الزواج العرفي: شرع الله الزواج ليحقق أهدافاً اجتماعية ومقاصداً مثل إقامة الحياة الآمنة والمطمئنة بين الزوج وزوجته القائمة على السكينة والمودة والرحمة، ويتحقق من خلاله إشباع الغرائز بطريق مشروع انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. وليس في الزواج العرفي أي من هذه المقاصد سوى إشباع الغريزة بصورة حيوانية أشبه بالزنا والسرقة والاغتصاب.

الأسباب الكامنة وراء انتشار الزواج العرفي:

توجد عدة أسباب أشار إليها كل من الشريف (د.ت)؛ عزمي (د.ت)، إبراهيم (د.ت) أدت إلى انتشار ظاهرة الزواج العرفي، نذكر منها ما يلي:

- القيود التي فرضتها قوانين الأحوال الشخصية على الأزواج، ومن ذلك تلك القيود التي تمثلت في حق الزوجة في طلب الطلاق في الحالة التي يتزوج عليها زوجها لذلك الغدر الواقع عليها بسبب هذا الزواج الثاني؛ وأيضاً حق الزوجة الثانية في طلب الطلاق في حالة إذا كانت لا تعلم بأن زوجها متزوجاً من قبل، بالإضافة إلى أن القانون قد أوجب على الزوج أن يقوم بإعلان وإخطار زوجته بالزواج الثاني.

- الصعوبات المادية التي تحيط بكثير من الشباب في هذا العصر وتتمثل هذه العقبات في غلاء المهور والمبالغة في تكاليف الزواج، بالإضافة إلى عائق الدراسة ومحاولة الأرواء الغريزي غير المشروع، وأيضاً قلة الأجور وانتشار البطالة وغلاء المعيشة وعدم توافر المسكن الملائم إلى جانب تدخل النساء في كثير من المجالات.
- ضعف الوازع الديني.
- رغبة أحد الطرفين في إخفاء الزواج بسبب التفاوت في المستوى الاجتماعي بينه وبين المرأة التي يريد الاقتران بها.
- رغبة الزوج في الزواج من أخرى من غير علم زوجته الأولى.
- وجود العديد من الضرورات المادية التي تجعل البعض يقدم على الزواج العرفي مثل حالات عدم الرغبة في التنازل عن المعاش للزوج أو الزوجة التي توفى زوجها ولها ولد منه، فلا تتزوج بعد زوجها إلا عرفياً، وذلك ابتغاء هدف واحد هو محاولة إعفاء الابن من الدخول في الخدمة العسكرية بأعتبار كونه عائلها الوحيد الذي يقوم بتصريف شئونها وتدبير احتياجاتها.
- كون الزواج العرفي لا يرتب على الزوج الالتزامات نفسها التي ترتب عليه في الزواج الرسمي.

القياس: قام موسى (٢٠٠١) بإعداد بنود **استبانة الاتجاه نحو الزواج العرفي** من خلال دراسة استطلاعية على عينة قوامها مائتي طالب وطالبة من جامعات مختلفة للتعرف على آرائهم واتجاهاتهم نحو الزواج العرفي، وتلي ذلك إعادة صياغة هذه العبارات، وانتهت في صورتها النهائية إلى عشرين بنداً، وتتم الاستجابة على كل بند من خلال ميزان تقدير مكون من خمسة موازين تبدأ بموافق بشدة (تعطي خمس درجات)، وتنتهي إلى غير موافق بشدة (تعطي درجة واحدة فقط). وتمتد الدرجات على الاستبانة من عشرين درجة إلى مائة درجة، حيث تدل الدرجة القصوى على الاتجاه السالب نحو الزواج العرفي، بينما تدل الدرجة الصغرى على الاتجاه الموجب نحو الزواج العرفي.

الصدق: تم حساب صدق استبانة الاتجاه نحو الزواج العرفي باستخدام طريقة الاتساق الداخلي، وذلك من خلال تطبيق الاستبانة على عينة مكونة من مائة طالب وطالبة بالجامعة، وهذا من خلال حساب معامل الارتباط بين درجة كل بند والدرجة الكلية لبنود الاستبانة. وقد تراوحت معاملات ارتباط البنود من ٠,٦١ إلى ٠,٨٢، وكلها معاملات دالة إحصائياً عند مستوى ٠,٠١.

الثبات: تم حساب ثبات استبانة الاتجاه نحو الزواج العرفي باستخدام طريقة ألفا لكرونباخ، فبلغ معامل الثبات ٠,٧٩.

استبانة الاتجاه نحو الزواج العرفي

	العبارات	موافق بشدة	موافق	متردد	غير موافق	غير موافق بشدة
١)	إن الزواج العرفي انتهاك لحقوق المرأة	( )	( )	( )	( )	( )
٢)	من نواتج الزواج العرفي ضياع حقوق المرأة وإهدار كرامتها	( )	( )	( )	( )	( )
٣)	اعتقد أن الزواج العرفي غير سليم وينقصه الإشهار والإعلان	( )	( )	( )	( )	( )
٤)	يلجأ بعض الشباب للزواج العرفي لإشباع رغباتهم الجنسية فقط	( )	( )	( )	( )	( )
٥)	يؤدي الزواج العرفي إلى خلط الأنساب وفقد حقوق الأبناء	( )	( )	( )	( )	( )
٦)	أرى أن الزواج العرفي بدعة ابتدعها الشباب غير القادرين على تكاليف الزواج	( )	( )	( )	( )	( )
٧)	يسفر عن الزواج العرفي فساد المجتمع وتدهور القيم والأخلاق	( )	( )	( )	( )	( )
٨)	إن الزواج العرفي نتيجة لغياب السلطة والإهمال والتفكك الأسري	( )	( )	( )	( )	( )
٩)	يضطر بعض الشباب إلى الزواج العرفي نظراً لسوء حالتهم الاقتصادية	( )	( )	( )	( )	( )
١٠)	أعتقد أن الزواج العرفي جريمة يجب أن يعاقب عليها القانون	( )	( )	( )	( )	( )
١١)	أن الزواج العرفي نتيجة حتمية لصعوبات الزواج الشرعي لدى الشباب	( )	( )	( )	( )	( )
١٢)	أرى أن الزواج العرفي هروباً من المسئولية وتحمل أعباء الحياة	( )	( )	( )	( )	( )
١٣)	أعتقد أن الزواج العرفي ينجم عن إشباع لنزوة طارئة سرعان ما تنطفئ	( )	( )	( )	( )	( )
١٤)	اعتقد أن الزواج العرفي يؤدي إلى خلق جيل مشرد منحرف	( )	( )	( )	( )	( )
١٥)	لن يحل الزواج العرفي مشاكل الشباب بل يزيدها ضرراً	( )	( )	( )	( )	( )
١٦)	أن الزواج العرفي صورة من صور انهيار الأعراف والتقاليد الاجتماعية	( )	( )	( )	( )	( )
١٧)	يهدد الزواج العرفي أمن المجتمع واستقراره	( )	( )	( )	( )	( )
١٨)	أن عواقب الزواج العرفي وخيمة ومدمرة	( )	( )	( )	( )	( )
١٩)	من الصعوبة علاج المشكلات الناتجة عن الزواج العرفي	( )	( )	( )	( )	( )
٢٠)	أن الزواج العرفي ناتج عن فهم خاطئ بمفهوم الحرية عند الشباب	( )	( )	( )	( )	( )